مرحلة الدفاع النشط (الدفاع الوقائي) :

بعد أن تمكَّنت القوات المسلحة من إعادة بناء قواتها المسلحة جزئيًا واستعادة قدرتها الدفاعية إلى حدٍّ لا بأس به ، قررت القيادة العليا التحول إلى استراتيجية الدفاع النشط أو الدفاع الوقائي ، وكانت هذه المرحلة تهدف إلى :

١ ــ عدم السماح لإسرائيل بتحويل خطوطها الحالية إلى خطوط بقاء حصينة .

٢ ــ إجبار إسرائيل على الاعتقاد بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط الدفاعية يمثل عبءً ثقيل تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية .

٣ ــ بقاء المشكلة الدولية بين مصر وإسرائيل ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها .

٤ ــ رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصري ، وبذلك نحبط المخطط الإسرائيلي للحرب النفسية .

وهذه المرحلة التي عُرفت بمرحلة الدفاع الوقائي أو الدفاع النشط بُني تقدير الموقف المصري لرد الفعل الإسرائيلي ، على أن إسرائيل أمامها أحد حلين إذا اتبعنا هذه المرحلة ، وهما :

أولاً : أن تلجأ إسرائيل إلى شن حربٍ ضد مصر حتى تحتفظ لنفسها بالتفوق الذي أحرزته وتوقف بذلك النمو المطرد للقوة العسكرية المصرية وتئدها في مهدها قبل أن يستفحل داؤها ، وفي الوقت نفسه تستكمل انتصاراتها وتفرض إرادتها ، وبذلك تؤمِّن حدودها وتنهي إلى الأبد مشكلة الكيان الإسرائيلي بل ووجودها كله .

ثانياً : أن تستمر في سيطرتها على الأراضي التي تمكنت من الاستيلاء عليها في عدوان ٦٧ ، وفي محاولاتها الدائمة لتهويد أكبر جزء منها وذلك لفرض سياسة الأمر الواقع بمرور الزمن ، وبرغم ما في ذلك العمل من تكاليف باهظة يتحملها الاقتصاد الإسرائيلي نتيجة احتفاظها بقوات عسكرية ضخمة في وضع تعبئة مستمرة ، مع العمل على وقف التصعيد الذي قد يحدث على جبهة القناة من القوات المصرية بأسلوب العقاب أو الردع وذلك في صورة عمليات عسكرية محدودة ومركزة لتُحْدِث آثارًا مادية ونفسية على القوات المصرية .

وبدراسة الاحتمالين قررت الاستراتيجية المصرية المضيّ قُدُمًا في تنفيذ نظرية الدفاع الوقائي أو الدفاع النشط حيث استنتجت قيادتنا أن إسرائيل سوف تلجأ إلى الاحتمال الثاني ؛ لأن الحل الأول غير مُستطاع

أمامها لأسبابٍ استراتيجية كثيرة منها أن التوسع يزيد العبء على إسرائيل وذلك لأن فرض سيطرتها على أراضي شاسعة سيؤدي حتمًا إلى استنزاف جهدها وطاقتها القتالية ويجعلها أكثر تعرضًا لأعمال ردِّ الفعل المحتملة

كما أن قواتها المسلحة ستفقد ميزة استفادتها من مانع طبيعي قوي هو قناة السويس الذي يضمن لها ولفترة طويلة عدم تعرضها لضربات مصرية مضادة واسعة النطاق ، هذا بالإضافة إلى أن الجو العام للسياسة العالمية كان غير مهيأ لشن حرب شاملة جديدة على العرب بعد أن تحولت إسرائيل بعد عدوان يونيو ٦٧ من حملٍ وديع ضعيف إلى دولة قادرة جيشها لا يُقهر ، والأهم من ذلك طبيعة اليهودي الذي وصفه الله تعالى في القرآن الكريم وهو سبحانه أعلم بخلقه إذ قال تعالى فيهم : ﴿ لاَيُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَفِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ . . ﴾

(الحشر:١٤) وقد لعبت المدفعية المصرية الدور البارز المؤثر للقوات المصرية المحاربة إذ كانت هي الذراع الطولى للجيش المصري .